كتاب التمرين

على

البيان والتبيين

وهو المرقاة الثانية من مراقي علم الادب

للعلاَّمة المحقق الشيخ طاهر الجزائري

وهذه المرقاة تالية للمرقاة الاولى الموسومة بارشاد الالبّا
وقد جعلت لتمرين الطالب قبل ان تبدر اليه بوادر الكلام
على ما رقَّ وراق من النثر والنظام ليتمثل مثل ذلك
في مرآته ويقوى النور في مشكاته فيحرز
حسن البيان في اقرب مدَّه بدون عناء
ولا شدَّه وهذا هو الاصل الاوَّل
وعليه في الفصاحة المعوَّل

— الطبعة الثانية —

بنفقـة

المكتبة الاهلية

بالشارع الجديد — بيروت

حقوق الطبع محفوظـة

بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٥

٧١١٦
1907

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرّف الانسان ـ وأجزل عليه الاحسان · فعلّمه من البيان ـ ما بان به عن سائر الحيوان · والصلاة والسلام على من ارسله الى جميع الأمم من العرب والعجم ـ فأبان لهم الطريق الأمم ـ واوضح لهم من الحقائق ماانبهم ـ وعلى آله الذين احكموا الحكمه ـ واصحابه الذين حكموا حكمه · وعلى من تلي آثارهم ـ وآثر الحق ايثارهم ·

(اما بعد) فلما كان البيان حلية اللسان والبنان · وهو من مراقي الكمال ـ التي لا يقوم مقامها شيءٌ ما كقوّة وكمال · عُني به السلف اشدّ عنايه ـ قياماً بما يستحقه من الرعايه · فألفوا كتباً شتى لتسهيل مسلكه ـ وتقريب مدركه · حتى اصبح كل سالك ـ يجد ما يوافقه من المسالك · فصار الناس ينسلون اليه من كل حدب ـ وسموا ما يوصل اليه بفنّ الادب · وجعلوا المحجة الكبرى فيه تدريب اللسان ـ على قراءة كلام المحسنين للبيان · ممن يدخل كلامهم في القلب قبل الاذن ـ بلحن خال من كل لحن · وحفظ كثير منه مما ينبغي حفظه ـ حيث راق معناه ورقّ لفظه · حتى يصير الطالب لكثرة ما

حفظ من كلامهم بمنزلة من نشأ بينهم وسمع منهم واخذ عنهم . ثم تلاهم على ذلك طوائف من الخلف - كان لهم بالادب اشدّ كلف - فبنوا كما بنت الاوائل - وابانوا عنه ابانة سحبان وائل - ثم قلّ السلوك في تلك المحجة على اختلاف الحِجج . وصار اكثر السائرين حيارى حيرة السارين في بحر ذى لجج . وبقي ذلك حينـاً من الدهر حتى قلّ من يعلمها - وكاد ينسى معلمها . ثم استدار الزمان فابتدرت عصابة من اهل الفضل - ممن لهم صبابة بالقول الفصل - الى بيان تلك المحجة - وايضاح معالمها بالحجة . فانتبه الى ذلك كثير من الناس - فعاد اليهم الرجاء بعد الياس . فصار السالك يسلك في محجة بينه - وهو في نجاحه على بينه . وقد احببت تكثير سواد القوم - فالفت هذه الرسالة واودعتها شيئاً من فصيح البيان ليمرّن عليه من يريد السلوك في هذا الطريق الموصل في اقرب مده - بدون عناءٍ وشدّه . وجعلتها على قسمين :

القسم الاول : في فصول شتى من كتب مختلفة وان كانت في حصول الغرض الذي نرمي اليه مؤتلفه

القسم الثاني : في نبذة مأخوذة من اسمى كتب الادب مقاماً واحلاها كلاماً وهو كتاب البيان والتبيين لأوحد عصره ابي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ

وهذه الرسالة هي المرقاة الثانية من مراقي علم الادب حملنا على وضعها بعد الفراغ من وضع المرقاة الاولى الموسومة بارشاد الالبا فرط الشفقة على طالبي هذا الفن فان كثيرًا منهم يمرّنون في اول الأمر على كل مااتفق من نظم اونثر . فتسبق لكثير منهم ملكة من جنس ما مرّنوا عليه من قبل فيعسر فيما بعد خلاصهم منها . وتحوّلهم عنها . لأن المعني الفاسد واللفظ البارد آلف للسمع واعلق باللسان . من المعنى الكريم المحلّى باحسن البيان . وذلك أن النفس يكفي في حصول ماشانها ان تترك وشانها . وتحتاج في امر صلاحها الى كدّ ومؤنه وفرط معونه . واظهر من ذلك امر الكتابة فان من مرّن نفسه على خط غير جيد صارت في يده ملكةً على الخط الرديء بحيث لو مرّن يده فيما بعد على احسن خط يعسر ان يحسن خطه فيما بعد لرسوخ ذلك فيه ولو لم يسبق له اشتغال من قبل يكون اقرب الحصول ملكة الحسن فيه . فينبغى الاعتناء بالمبتدى اكثر من الاعتناء بمن فوقه فيما يروم الوصول اليه والحصول عليه والله لا يضيع اجر من احسن عملا

اصلح الله سبحانه افعالنا واقوالنا بفضله

فصل في الانسان

ان اللهَ تبارك وتعالى خلقَ الانسان، وأَجزل عليه الإحسان . فخصه بالعقل والبيان ــ فبانَ بهما عن سائر الحيوان .

فبالعقل يدركُ مبادئَ العلوم، وبالفكر يتوصلُ الى استنباط المجهول من المعلوم . ويميزُ بين مايضرُّهُ وينفعه ويضعه ويرفعه

وبالبيان أمكنهُ اظهارُ مافي نفسه من الضمائر وإِيصاله الى مَن شاءَ من غائبٍ او حاضر

ولولا العقلُ والبيانُ لكانَ كالبهيمة المهملة والصورةِ الممثلة ومن ثَمَّ قال الشاعر :

وكائنْ ترى من صامت لك معجبٍ
زيادته او نقصه في التكلم

لسانُ الفتى نصفٌ ونصف فؤادُه

فلم يبقَ اِلاَّ صورةُ اللحم والدم

فالانسانُ وان كان ضعيفاً بالنسبة الى كثير من الحيوان في الظاهر فهو أقوى من جميعها في الباطن، فاِنَّ اللهَ سبحانه قد اعطاهُ من العقل والبيان واليد العاملةِ والبنان ما مكَّنه منها ومما سواها مما يحتاج اليه في بقائه ونموّه وارتقائه — ويوليهِ الاحسانَ والحسني ويجعلهُ من أهل المقام الأسنى

فصل فى الحيوان

الحيوان جنس الحيّ — والحيوان الحياة

قال الجاحظ : الحيوانُ على اربعة أقسام :

شيءٌ يمشي — وشيءٌ يطير — وشيءٌ يعوم - وشيءٌ ينساحُ في الأرض

فأما النوعُ الذي يمشي فهو على ثلاثة اقسام: ناسٍ وبهائمَ وسباعٍ. والطير كله سُبعٌ وبهيمةٌ وهمجٌ والخشاشُ مالطف جُرمه وصغرَ جسمه وكان عديمَ السلاح. والهمجُ ليس من الطيور ولكنه يطير وهو فيما يطيرُ كالحشرات فيما يمشي. والسبعُ من الطير ماأكلَ اللحمَ خالصاً. والبهيمةُ ماأكلَ الحبَّ خالصاً والمشترَكُ كالعُصفور فانه ليس بذي مِخلب ولا مِنسر وهو يلقطُ الحبَّ ومع ذلك يصيدُ النملَ ويصيدُ الجرادَ ويأكلُ اللحمَ ولا يزُقُّ فِراخه كما يزقُّ الحمامُ فهو مشتركُ الطبيعة ـ واشباهُ العصافير من المشترك كثيرة ـ وليس كلُّ ماطار بجناحين من الطير فقد يطير الجُعَل[1] والذُّبابُ والزَّنابيرُ والجرادُ والنملُ

---

(١) الجعل ضربٌ من الخنافس قال ابو الطيب:

بذي الغباوة من إنشادها ضررٌ
كما تضرُّ رياح الورد بالجعل

والفراش والبعوض والأرَضة(١) والنحل وغيرُ ذلك ولا تسمى طيرا

وقد ذكرنا في هذا الفصل من الحيوان شيئاً مما قرُب مَأخذُه وذلك على وجه الاجمال

الاسد

الأسد من السباع معروف. وجمعه أُسد وأُسود وآساد . وله اسماء كثيرة منها السبعُ والليثُ والقسورُ والضرغامُ والضيغمُ والغضنفر

وكثرةُ الاسماء تدلُّ على شرف المسمى . وهو أَشرفُ الحيوان المتوحش لقوَّته وشجاعته وشهامته وبه يُضرَبُ المثل في النجدة والصولة

الإبل

الابلُ اسمُ جنس م (معروف) والبعيرُ اسمٌ

(١) الارضة بوزن قصبة دويبة تاكل الخشب

يقع على الذكر والانثى منها ـ فهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس ـ والجمل بمنزلة الرجل ـ والناقة بمنزلة المرأة ـ وجمع البعير أبعرةٌ وأباعر وبُعران

ومن القاب الابل العيسُ وهي الشديدةُ الصلبةِ والشِّملال وهي الخفيفة ـ واليعملةُ وهي التي تعمَلُ ـ والناجيةُ وهي السريعة ـ والهِجان وهي الابل الكريمة ـ والحرْفْ وهي الناقة الضامرة

قال الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني ملغزا في ناقة صالح عليه السلام :

يا ايها القارئُ ما آيةٌ * احرفها اربعةٌ ظاهره
وقيل حرف واحدٌ كلها * فاعجب لها من آية باهره

والابل من الحيوانات العجيبة وإن كان العجب منها قد سقط من الاعين لكثرة الرؤية لها فهي عظيمةُ الجسم تنهضُ بالحملِ الثقيل وتبرُكُ بــه ـ وهي سريعة الانقياد يأخذ بزمامها الولد الصغير فيذهبُ بها الى

حيثُ شاء · و يُتخذُ فوقها بيت يقعد فيه الانسان مع مأكله ومشربه وملبسِه وآنيته حتى كأنه في بيته وهي تمشي بكل ذلك وهي سفنُ البرّ . ولها صبرٌ على احتمال العطش حتى قيل انَّ ظِمأَها[1] ليرتفعُ الى عشرة ايام ويخرج لها عند رُغائها[2] شِقشقةٌ لا تُعرف ما هي

وللإبل في قلوب العرب اعظمُ موقع فانها إن حُلبت ارْوَت كثيرًا وان نُحرت اشبعت كذلك وان جُعلت رَكوبةً أمكن ان يُقطعَ بها من المسافات ما لا يُقطعُ بغيرها من الحيوان

وان جُعلت حمولة استقلَّت بحمل اثقالٍ لا يستقلُّ بها سواها

---

(١) الظِمأ بالكسر اسمٌ من الظمأ وهو العطش (٢) الرُغاء وزان غراب صوت البعير والشِقشقة بالكسر شيءٌ كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج

وقد ضربوا بها الامثال فقالوا : أشبعهم سباً وراحوا بالابل

يضرب لمن ليس عنده الا الكلام

وقالوا : ماهكذا يا سعد تورد الابل

يضرب لمن نكلف امرًا لا يحسنه

وقالوا : يا ابل عودي الى مباركك

يضرب لمن يفر من الشيء الذي لا بد منه

الارنب

الارنب واحدة الأرانب وهو حيوان يشبه العناق (١) قصير اليدين طويل الرجلين عكس الزرافة (٢) يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم جنس يطلق على الذكر والانثى وانما يميز باسم الاشارة كالعقاب فيقال للذكر هذا الأرنب وللانثى هذه الأرنب

(١) العناق بالفتح دابة كالكلب من الجوارح الصائدة

(٢) الزرافة كسحابة وتضم دابة تشبه البعير

ومن أمثالهم المشهورة المتعلقة بالأرنب قولهم: في بيته يؤتى الحَكَم وهو مما زعمته العرب على ألسنة البهائم قالوا: ان الأرنبَ التقطت تمرةً فاختلسها الثعلب فأكلها ـ فانطلقا يختصمان الى الضّبّ ـ

فقالت الأرنب يا ابا حِسْل[1] قال سميعاً دعوتِ

قالت اتيناك لنختصم اليك ـ قال عادلاً حكيماً

قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكَم

قالت اني وجدت تمرة قال حلوةً فكُليها

قالت فاختلسها الثعلبُ قال لنفسه بغى الخير

قالت فلطمته قال بحقك أخذتِ

قالت فلطمني قال حرٌّ انتصر لنفسه

قالت فاقض بيننا قال قد قضيتُ

فذهبت اقواله كلها امثالاً

---

(١) الحسل بكسر الحاء ولد الضب

البعوض ويسمى الناموس

البعوض حيوان معروف وله اجنحة وله خرطوم مجوَّف نافذ فاذا طعن به جسدَ انسانٍ استقي الدَّمَ وقذف به الى جوفه وهو قويٌّ على خرق الجلود الغلاظ

قال الراجز:

مثل السَّفاة(١) دائمًا طنينها * رُكّب في خرطومها سكّينها

ومما جري مجرى الأمثال قول بعضهم:

لا تحقرنَّ صغيرًا في عداوته
ان البعوضة تدمي مقلة الاسد

البقر

البقرُ اسم جنس يقعُ على الذكر والأُنثى وانما دخلته الهاء للوَحدة والجمعُ بقراتٌ . والثورُ الذكر من البقر والأنثى ثورة والجمع ثيران

والبقرُ حيوانٌ شديد القوَّة كثير المنفعة ليس له سلاح

---

(١) السفاة واحدة السفى وهو كل شجر له شوك

شديدٌ كما للسباع ـ ولو كان له ذلك لصعبَ على الانسان اقتناؤه مع شدة احتياجه اليه • وهو اجناسٌ منها الجواميسُ وهي اكثرُها ألباناً واعظمها اجساماً

البوم

البوم والبومةُ طائرٌ يطلقُ على الذكر والأُنثى وقد كانت العرب تتشاءَمُ به وقد ورد النهي عن ذلك • والبومُ أَصنافٌ كلها تحبُّ التفرُّدَ والخلوةَ بأَنفسها وذكر في تاريخ ابن النجار أنَّ كسرى قال لعاملٍ له صدْ لي شرَّ الطيور واشوِه بشرِّ الوَقود وأطعمه شرَّ الناس • فصاد له بومةً وشواها بحطب الدّفلى وأطعمها ساعياً (اي واشياً)

الثعلب

الثعلبُ معروفٌ والأُنثى ثعلبة والجمع ثعالب والثعلبان ذكر الثعالب

والثعلب سبعٌ جبانٌ مستضعفٌ لكنهُ ذو مكرٍ وخديعة . ومن الامثال قولهم : اروغ من ثعلب

الجَراد

الجراد معروفٌ الواحدة جرادة . والجراد اذا خرج من بيضه يقال له الدَّبا فاذا طلعتْ اجنحتهُ وكبرتْ فهو الغَوْغاء الواحدة غوغاة وذلك حين يموج بعضه في بعض واذا بدت فيه الأَلوان سُمي جرادا

الأَمثال : قالت العرب : تمرةٌ خيرٌ من جرادة

وقالوا : جاء القوم كالجراد

وقالوا : كالجراد لا يُبقي ولا يَذر

الحرباء

الحرباء حيوانٌ على هيئة السمك يتلوَّن الوانًا واذا رأى ما يروعه تشكل بشكل ينفر منه من يريده بسوء

(الامثال) قالوا : فلانٌ يتلوَّن تلوُّن الحرباء يضرب لمن لا يثبت على حالة

وقالوا : احزم (١) من حرباء لانه اذا علا على شجرة لا يُرسل من يده غصناً حتى يُمسكَ غيره

الحمار

الحمار معروفٌ وجمعه حمير وحمر . وربما قالوا للأتان حمارة . وتصغيره حميّر

وللناس في مدحه وذمه اقوالٌ متباينةٌ بحسب الأغراض . وسُئل بعضُ من يختار ركوبه عن ذلك فقال هو من اقلّ الدوابّ مؤونه واكثرِها معونه واخفضها مهوى واقربها مُرتقى

الامثال قالوا اصبرُ من حمار

---

(١) الحزم الاحتراس والنظر في الامر قبل الاقدام عليه

وقالوا : اذلُّ من حمارٍ مقيَّد قال الشاعر:

ولا يُقيم على ضيم يُراد به
اِلاَّ الأذلاَّن عيرُ الحيّ والوِتدُ
هذا على الخسف مربوطٌ برُمّته (١)
وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحدُ

والحمرُ نوعان :اهليةٌ ووحشية ـ والحمار الوحشيُّ يسمى الفَرا ٠ وفي المثل : كلُّ الصيد في جوف الفرا

وأصل هذا المثل أنَّ جماعةً ذهبوا الى الصيد فصاد أحدُهم ظبياً والآخرُ أرنباً والآخر حمارَ وحشٍ فاستبشر صاحبُ الأَرنب وصاحبُ الظبي بما نالا وتطاولا على الثالث فقال الثالثُ كلُّ الصيد في جوف الفرا ـ يعني أنه ليسَ فيما يصادُ أعظمُ من حمار

(١) الرُّمة بالضم القطعة من الحبل وبها كُني ذو الرُّمة الشاعر

الوحش . ثم اشتهر ذلك المثل واستعمل في كل حاو لغيره وجامع له

الحمام

الحمامُ اسمٌ يقعُ على الذكر والأُنثى الواحدة حمامة وهو عند العرب ذواتُ الاطواق نحو الفواخت والقَماري والقطا[1] . قال الاصمعيُّ كلُّ ذاتِ طوق فهي حمام . والمرادُ بالطوق الحمرةُ او الخضرةُ او السوادُ المحيطُ بعنق الحمامة . وقال الجاحظ في كتاب الطير : كل طائرٍ يعرفُ بالصوت الحسن والدعاء والهدير[2] والترجيع فهو حمامٌ وان خالف بعضه بعضاً في بعض الصوَر واللون والقد ولحن الهديل — كما تختلف الابلُ والبقر والمعزِ والدَّجاجُ في أَنواعها وأَشكالها ولا يُخرجها

(١) الفواخت ج فاخته والقماري ج قمرية والقطا ج قطاة وكلها من انواع الحمام (٢) الهدير سجع الحمام ومثله الهديل

ذلك عن ان تكون إبلاً او بقرًا او معزًا او دَجاجا ٠
والوَرْقاء الحمامةُ التي يضربُ لونها الى خضرة ٠ وقد
شبّه بها النفسَ الرئيسُ ابوعليّ الحسين بنُ سينا
حيث قال :

هبطتْ اليك من المحلّ الارفع
ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةٌ عن كلّ مقلة عارفٍ
وهي التي سفرَت ولم تتبرقع

وللعرب في الحمام ابيات تفوت الحصر

« فمن ذلك قول عديّ بن الرّقاع »

ومما شجاني أنني كنت نائمًا
أُعلل من فرط الجوى بالتبسم
الى أَن بكت ورقاءُ في رونق الضحى
تردّدُ مبكاها بحسن الترنُّم

فلو قبل مبكاها بكيتُ صبابةً
بسعدى شفيتُ النفس قبل التندُّم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بُكاها فقلتُ الفضل للمتقدّم

(الامثال) قالوا : آمَن من حمام الحرَم . وآلف من حمام مكة

وقالوا : تقلدها طوقَ الحمامة اي لزمته فعلته لزوم الطوق للحمامة فانه لا يفارقها

ويقال : طُوّق فلانٌ عمله طوق الحمامة اي أُلزمَ جزاءَ عمله

وقالوا : أخرق من حمامة لانها لا تُحكم عُشها وذلك انها ربما جاءت الى الغصن من الشجرة فتبني عليه عُشها في الموضع الذي تذهب به الريحُ فيكسر من بيضها اكثر مما يسلم

قال عبيد بن الابرص

عَيُّوا بامرهمُ كما ٭ عَيِيَتْ ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من ٭ نشمٍ وآخرُ من ثمامه (١)

الحية

الحية اسم جنس يُطلق على الذكر والانثى فان اردتَ التميزَ قلت هذا حيةٌ ذكرٌ وهذه حيةٌ أُنثى قاله المبرِّد في الكامل

والحية انواعٌ منها الرَّقشاء وهي التي فيها نقطٌ سودٌ وبيضٌ ويُقال لها الرقطاء ايضاً

قال النابغة

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ (٢)
من الرُّقش في انيابها السمُّ ناقعُ

(١) النشم شجرٌ للقسيِّ والثمامة واحدة الثمام بالضم : نبت
(٢) المساورة المواثبة والمغالبة . وضئيلة صغيرة الجسم قليلة اللحم

تَبادَرَها الرّاقون من شرّ سمها
فتطلقه يوماً ويوماً تراجع
تُسهّد من ليل التمام سليمها
لحلي نساء في يديه قعاقع (١)

وقال غيره

وهم أيقظوا رُقطَ الإفاعي ونبهوا
عقاربَ ليل نام عنها حُواتها
وهم نقلوا عني الذي لم أفه به
وما آفة الأخبارِ الاّ رُواتها

والأرقمُ الحيةُ التي فيها بياضٌ وسوادٌ كأنه رقمٌ اي نقشٌ. وقيل الأرقمُ الحيةُ التي فيها حمرةٌ وسواد

(١) تسهد : يقال سهّده واسهده اذا اسهره وارّقه والتمام بوزن كتاب. وليل التمام اطول ليالي الشتاء والقعاقع ج قعقعة وهي حكاية اصوات السلاح ونحوه

ومن اسماء الحيــة الأيمُ والجانّ والثُّعبان والشجاعُ والصلُّ .

والأفعى الأنثى من الحيات والذكر أُفعوان بضمّ الهمزة والعين .

(الامثال) قالوا : فلانٌ اسمعُ من حية . واعدى من حية . وهو من العدْو لانها تُسرعُ الى جُحرها اذا راعها شيء

وقالوا : الحيةُ من الحُيَيَّة . يريدون انَّ الأمر الكبير ينشأُ من الصغير

الخطّاف

الخُطَّافُ طائرٌ قريبٌ من الناس يألف البيوت العامرةَ ويقطع البلادَ البعيـدةَ اليهم وهو انواعٌ منها النوع الذي يسميه الناس سنونو

قال العسكريُّ فيه :

وزائرة في كل عام تزورنا
فيخبر عن طيب الزمان مزارها
تخبر أَنَّ الجوَّ رقَّ قميصه
وأَنَّ الرياض قد توشى إِزارها
وأَنَّ وجوهَ الغرب راقَ بياضُها
وأَنَّ وجوهَ الارض راعَ اخضرارُها
تحنُّ الينا وهي من غيرِ شكلنا
فتدنو على بعدٍ من الشكل دارُها

الخفاش ويسمى الوطواط

الخُفَّاش طائرٌ غريب الشكل والوصف يطيرُ في الليل عندَ غروب الشمس ويطلبُ البعوضَ فانه يكثر في ذلك الوقت طالباً لرزقه وهو دمُ الحيوان ولعدم رؤيته في النهار قال الشاعر:

مثلُ النهار يزيدُ ابصارَ الورى
نوراً ويُعمي اعينَ الخفَّاش

الخيل

الخيل جماعة الافراس لا واحد له من لفظه فهو كالقوم والجمع خيول · والحصان الذكر من الخيل · والفرسُ واحد الخيل الذكر والأنثى في ذلك سواء والجمعُ أفراس · والحجرُ الأنثى من الخيل والجمع احجار وحجور والهجين الذي ابوه عربي وامه عجمية والمقرِفُ عكسه · والعتيق من الخيل ما ابواه عربيان · والعتيق الكريم من كل شيء · والخيل اشبه الحيوان بالانسان لما فيها من الكرم وشرف النفس وعلوّ الهمة

الدجاج

الدَّجاج م والواحدة دَجاجة · والديك ذكر الدَّجاج وجمعه ديوك وديكة وتصغيره دُوَيك · وتوصف الدجاجة بقلة النوم وسرعة الانتباه · والفرخُ يخرج من البيضة كاسياً كاسباً ظريفاً سريعَ الحركة

(الأَمثال) قالوا : اشجع من ديك

وقالوا : ما كلَّمته الاَّ كحسو الديك ـ يريدون السرعة

الذئب

الذئب م والأُنثى ذئبة ـ وجمعُ القلة أذؤُبٌ وجمع الكثرة ذِئابٌ وذُؤْبانٌ ويسمى السرحان وذُؤَالةُ والسِّيْد . ومن اسمائه الشهيرة أُوَيس مصغرًا وزان كُمَيْت . قال الشاعر الهُذليّ :

ياليتَ شعري عنك والأمرُ غممْ
ما فعل اليومَ أُوَيسٌ بالغنم

(الأمثال) وصفت العرب الذئب باوصاف مختلفة فقالوا : أغدر من ذئب ـ وأَختلُ ـ وأَخبثُ ـ وأَخون ـ وأجول ـ وأعتى ـ وأعوى ـ وأَظلم ـ وأجرى وأكسب ـ وأجوع ـ وأَنشط ـ وأوقح ـ وأَجسر ـ وأيقظ ـ واعقُ ـ وأَلأَمُ من ذئب

وقالوا : أخوك ام الذئب

وقالوا : اخفُّ رأساً من الذئب · قال الشاعر :

ينام بإِحدى مُقلتيه ويتقي
بأُخرى الاعادي فهو يقظان هاجع

وقالوا : كالغراب والذئب — يُضرَبُ للرَّجلين بينهما موافقةٌ فلا يختلفان لأن الذئب اذا اغار على غنم تبعه الغراب ليأكلَ ما فضلَ منه

وقالوا في الدعاء على العدوّ : رماه الله بداء الذئب يريدون الجوع

وقالوا : الذئب يكنى ابا جَعدة · والجعدة الشاة وقيل نبت طيب — يريدون ان فعله قبيح وان كان اسمهُ حسناً

وقالوا : من استرعى الذئبَ الغنم فقد ظلم

اي ظلم الغنم ويمكن ان يراد على بعد انه ظلم

الذئب حيث كلفه ماليس في طبعه وأوّل من قاله اكثم بن صيفيّ

الظَّبي

الظبيُ م والأنثى ظبية والجمع ظِباءٌ والغزال ولد الظبية الى ان يقوى ويطلعَ قرْناه

والظباء اصنافٌ : صنفٌ يقال له الآرام وهي ظباءٌ بيض خالصةُ البياض الواحد منها رِيم . وصنف يقال له العُفْر والوانها حُمر وصنف يقال له الأُدْم . ويقال لولد الظبية اولَ سنة طَلاً وخِشْف

(الأمثال) قالوا : آمَنُ من ظِبــاء الحرَم . وقالوا : تركتُ الشيءَ تركَ الغزال لظلّه . وظلّه كِناسه الذي يستظلُّ به من شدة الحرّ وهو اذا نفر منه لا يعود اليه

العقرب

العقربُ دُوَيبةٌ من الهوامّ تقع على الذكر والأُنثى

والجمع العقارب ويقال للذكر منها عقرُبان

(الامثال) قالوا : فلان أعدى من العقرب وهو من العداوة

وقالوا : العقرب تلدغ وتصأى (١)
يضرب للظالم في صفة المتظلّم

وقالوا : تحككت العقرب بالأفعى
يضرب لمن ينازع او يخاصم من هو اكثرُ منه شرًّا ـ يقال يحكك به اذا تعرّض لشره

وقالت العرب قد كنت اظنّ ان العقرب اشدّ لسعًا من الزُّنبور فاذا هو هي وقالوا ايضاً فإذا هو اياها وقد انكر سيبوَيه الوجه الثاني لمّا وقع البحث بينه وبين الكسائيّ والقصة مذكورة في مغنى اللبيب

---

(١) صأى كسعى صئياً : صاح

الغنم

الغنمُ اسمٌ موضوعٌ للجنس يقع على الذكور والاِناث
واذا صغّرتها قلت غُنَيْمة والجمع أغنام
ومما ينسب لبعض الائمة الكرام :

ساكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي
ولا انثرُ الدرَّ النفيسَ على الغنمْ
فان يسّرَ اللهُ الكريمُ بفضله
وصادفتُ اهلاً للعلوم وللحكمْ
بثثتُ مفيداً واستفدتُ ودادَهم
والاَّ فمخزونٌ لديَّ ومكتتمْ
فمن منح الجهاَّل علماً اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

القطا

القطا طائر معروف الواحدة قطاة
وسميت القطا بحكاية صوتها فانها تقول ذلك ٠

ولهذا تصفها العربُ بالصدق قال الكُمَيْتُ في وصفها :

لا تكذبُ القولَ اِنْ قالتْ قطًا صدقتْ

اذ كلُّ ذي نسبةٍ لا بد ينتحل

(الامثال) قالوا : اصدق من قطاة . وقالوا :

لو تُرِكَ القطا ليلاً لنام .

يُضرب لمن حُمل على مكروه من غير ارادته قيل اوّل من ضرب هذا المثل امرأة يقال لها حذام فانها لما رأت القطا طار ليلاً قالت :

الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا ليلاً لناما

فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الى مضاجعهم فقام فيهم رجل فقال :

اذا قالتْ حَذامِ فصدّقوها

فاِنّ القول ماقالتْ حَذامِ

فنفر القوم وارتحلوا والتجأوا الى واد قريب منهم فاعتصموا به حتى اصبحوا ونجوا من عدوهم وهذا البيت جرى مجرى المثل يضرب لمن عرف بالصدق

(فصل)

في حكم مأثورة عن اهل الفضل

قال عمر بن عبد العزيز ويروى لغيره : ان الليل والنهار يعملان فيك فاعملْ فيهما

وقال لعامل حمص لما قال له إنها تحتاج الى حصن: حصّنها بالعدل والسلام

وقال عبدالله المأمون: احسن الكلام ماشا كل الزمان

وقال: ان النفس لتملُّ من الراحة كما تملُّ من التعب

وقال يحيى بن خالد البرمكيُّ: ما رأيت باكيًا احسن تبسماً من القلم

وقال لموسى الهادي وقد قال له بلغني أنَّ العلم قد افسدك : انَّ شيئًا يُفسده العلمُ لحريٌّ ألاَّ يُصلحهُ الجهلُ

وقال الفضل بن سهل في بعض توقيعاته :

الأمور بتمامها . والاعمال بخواتيمها . والصنائع باستدامتها

وقال اخوه الحسن بن سهل : عجبتُ لمن يرجو مَنْ فوقه كيف يَحرمُ مَن دونه

وقال : لا يصلح للصدر الاّ واسعُ الصدر

وقال ابراهيمُ الصوليّ : مَثلُ الاصدقاء كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار

وقال : المتصفّحُ للكتاب أبصرُ بمواقع الخلل فيه من مُنشئه

وقال احمدُ بن سليمان : أَحسَنُ الكلام ما لا تمجّه الآذان ولا تتعبُ فيه الاذهان

وقال احمد بن ابي دُؤاد : الاستصلاح خيرٌ من الاجتياح (اي الإهلاك)

وقال : من صدقت لهجته وضحت حُجته

وقال ابو نصر العتبيّ : الرفق لقاح الصلاح

وَجناح النجاح

وقال : تَعزَّ عن الدنيا تُعزّ

وقال أفلاطون : من أيس من الشيء استغنى عنه

وقال : يُعرفُ جهل المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه وإخباره بما لا يُسأَلُ عنه

وقيل له : لمَ لا تجتمع الحكمة والمال فقال لعزّ الكمال

وقال : لا تصحب الشرّير فإن طبعك يسرِق من طبعه شرًّا وانت لا تعلم .

وقال : اذا أردت ان يدوم حبُّك لأَحد فأحسن أدَبهُ

وقال : ينبغي ان نُشفق على اولادنا من اشفاقنا عليهم

وقال : بخل العالم بأفادة ماقتناه من ثمار علمه يحمله على الاقتصار عليه والامساك عن طلب غيره . وافادتهُ اياه تبعثه على طلب غيره مما يؤثر الاختصاص به

وقال : لا تعانِ ماقوي فساده فيحيلك الى الفساد

قبلَ ان تحيله الي الصلاح

وقال : اذا قويت نفسُ الانسان اعتمد على الرأي والجِدّ واذا ضعفت اعتمد على البخت والجَدّ

وقال سقراط : ليس ينبغي التصديق الاّ بما يصحّ . ولا العملُ الاّ بما يحِلّ . ولا الابتداء الاّ بما تحسنُ فيه العاقبة

وقال بعض الحكماء : مَنْ أفرط كمن فرّط . ومن احتفل في غلوّه استفل في علوّه

وقال بعضهم : من تسرَّع الى الامانة قبل أنْ يؤتمن فلا لوم على من اتَّهمه بالخيانة . ومن نصحَ قبلَ أن ينتصَحَ فلا لوم على من اتَّهمه بالخداع . ومن طلب كشفَ ما سُتر عنه فلا لوم على من اتَّهمه بخبث الطباع

وقال : من المروءَة اجتنابك ما يَشينك واختيارُك ما يَزينك

وقال : لا تكن تلميذًا لمن يبادر الى الأجوبة

عن المسائل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما يتفرّع عنها

وقال ارسطاطاليس : اِعصِ الهوى واطع من شئت

وقال: النميمة تهدي الى القلوب البغضاء . ومن واجه فقد شتم . ومن نقل الى احد فقد نقل عنه

وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

اِنَّ الصنيعة لا تكونُ صنيعةً
حتى يصابَ بها طريقُ المصنعِ
فاِذا صنعتَ صنيعةً فاعمد بها
لله او لذوي القرابة اودَعِ

فقال عبد الله هذان البيتان يُبخّلان الناس ولكن امطروا المعروف مطرا ـ فان اصاب الكرام كانوا له اهلا ـ وان اصاب اللئام كنتم لما صنعتم اهلا

وقال الشبلي : نور الحقيقة احسن من نوْر الحديقة نوّر الله سبحانه قلوبنا بانوار الحقائق وجعلها لدينا ازهر من انوار الحدائق بمنه وفضله .

(فصل)

في ابيات مختارة من ديوان الحماسة

وهو ديوان اشعر الشعراء المحدثين ابو تمام الطائي
من مختار الشعر الذي وقف عليه ووصل اليه

باب الحماسة

قال بعض شعراء بَلْعنبر :

لو كنتُ من مازن لمْ تَستبح اِبلي
بنو الشقيقة من ذُهلِ بن شيبانا (١)

اذاً لقامَ بنصري معشرٌ خشنٌ
عندَ الحفيظة ان ذو لُوثةٍ لانا (٢)

(١) مازن اسم لقبيلة من قبائل العرب وذهل كذلك
(٢) المعشر الجماعة لا واحد له من لفظه . والخشن ج اخشن . والحفيظة الغضب في الشيء الذي يجب ان يحفظ . واللوثة الضعف واللين

قومٌ اذا الشرُّ ابدى ناجذَيه لهم
ظاروا اليه زَرافات ووحدانا[١]

لا يسألون أخاهم حين يندبُهم
في النائبات على ماقال برهانا

لكنَّ قومي وان كانوا ذوي عددٍ
ليسوا من الشرّ في شيء وان هانا

يجزون من ظلمِ اهل الظلمِ مغفرةً
ومن اساءة اهل السوء اِحسانا

كأنَّ ربَّك لم يخلُق لخشيتِه
سواهم من جميع الناس انسانا

فليتَ لي بهمُ قوماً اذا ركبوا
شنُّوا الاِغارة فُرسانًا ورُكبانا

(١) الناجذ ضرس الحلم وهو اقصى الاضراس وهي اربعة من كل جانب واحد . والزرافات الجماعات

قال ابراهيم النبهاني

تَعزَّ فاِنَّ الصبرَ بالحُرّ أجملُ
وليس على ريبِ الزمانِ معوَّلُ
فلو كان يغني أن يُري المرء جازعاً
لحادثةٍ او كان يُغني التذلل
لكان التعزّي عندَ كل مصيبةٍ
ونائبة بالحُرّ اولى وأجملُ (١)
فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامَه (٢)
وما لامرئٍ عما قضى اللهُ مَزْحلُ
فاِن تكن الايام فينا تبدَّلت
ببؤسى ونُعمى والحوادثُ تفعل
فما ليَّنت منا قَناةً صليبةً
ولا ذلَّلتنا للتي ليس تجمُلُ

(١) في كان ضمير الشان وهو قليل فما بعده مبتدا وخبر
(٢) الحمام الموت · والمزحل البعد

ولكن رحلناها نفوساً كريمةً
فصحّت لنا الاعراض والناس هُزَّلُ

وقال آخر

وفارقت حتى ماأُبالي من النوى
وان بان جيرانٌ عليَّ كرامُ
فقد جعلت نفسي على النأيِ تنطوي
وعيني على فقد الحبيب تنامُ

وقال آخر

لا يمنعنك خفضَ العيشِ في دَعةٍ
نُزوعُ نفس الى اهلٍ واوطانِ
تلقى بكلّ بلاد ان حللت بها
أهلاً باهلٍ وجيراناً بجيران

وقال احد بني اسد في يوم اليمامه :

اقول لنفسي حين خَوَّدَ رَأْلُها
مكانَكِ لما تُشفقي حين مشفَق(١)

(١) الرأل فرخ النعام وخوّد خفف يقال للمذعور خفت نعامته

مكانَكِ حتى تنظري عمَّ تنجلي
عمايةُ هذا العارضِ المتألقِ (١)

وكوني مع التالي سَبيل محمدٍ
وان كذبتْ نفسُ المقصرِ فاصدُقي

اذا قال سيفُ الله كرُّوا عليهمُ
كررنا ولم نحفل بقول المعوّق

وقال سعد بن ناشب.

تفندُني فيما ترى من شراستي
وشدّة نفسي أمُّ سعدٍ وما تدري (٢)

فقلتُ لها ان الكريمَ وان حلا
ليُلفى على حالٍ أَمرَّ من الصبر (٣)

وفي اللين ضعفٌ والشراسةُ هيبة
ومن لم يهب يُحملْ على مركبٍ وعرِ

---

(١) العماية الظلمة . والعارض السحاب (٢) تفندني تجهلني (٣) يُلفى يوجد

ومالي على مَن لانَ لي من فظاظةٍ
ولكنني فظٌّ ابيٌّ على القسرِ (١)

أُقيمُ صغا ذي الميــل حتى اردَّه
واخطمهُ حتى يعودَ الى القدْرِ (٢)

فان تعذُليني تعذُلي بي مرزءًا
كريمَ نثا الإعسار مشتركَ اليسر (٣)

إذا همَّ القى بين عينيــه عزمه
وصممَ تصميمَ السريجيّ ذي الاثر (٤)

---

(١) القسر القهر على الكره (٢) الصغا الميل . وخطمه ضرب انفه وخطمه بالخطام جعله على انفه (٣) المرزأ الكريم . والنثا الخبر ويستعمل في الخير والشر والثناء لا يستعمل الا في الخير . والمراد بكونه مشترك اليسر انه يشترك الناس في نفعه (٤) السريجي السيف وتصميمه مضاؤه . والاثر فرند السيف وهو جوهره ووشيه

باب المراثي

قال محمد بن البشير :

نعمَ الفتى فجعتْ به اخوانه
يومَ البقيع حوادثُ الأيامِ
سهل الفناء اذا حللت ببابه (١)
طلقُ اليدين مؤدَّب الخدَّام
واذا رأيتَ صديقه وشقيقه
لم تدرِ أيهما ذوو الأرحام

وقال ابن المقفع :

رُزِئنا ابا عمرٍو ولا حيّ مثلهُ
فللهِ ريبُ الحادثات بمن وقعْ
فإنْ تكُ قد فارقتنا وتركتنا
ذوي خلة ما في انسدادٍ لها طمع (٢)
فقد جرَّ نفعاً فقدُنا لك أننا
أمنا على كل الرَّزايا من الجزعْ

(١) الفناء سِعة امام البيت (٢) الخلة بالفتح الفقر

وقال آخر

اذا ما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا
اجاب البكا طوعاً ولم يجبِ الصبرُ
فان ينقطع منك الرَّجاء فانه
سيبقى عليك الحزن ما بقىَ الدهر

وقالت فاطمة الخزاعية :

يا عينُ بكّي عند كل صباحِ
جودي باربعةٍ على الجرَّاحِ
قد كنتَ لي جبلاً أَلوذُ بظله
فتركتني أضحى بأجرد ضاح (١)
قد كنتُ ذاتَ حميةٍ ماعشتَ لي
أمشي البراز وكنتَ انتَ جناحي
فاليومَ أَخضع للذليل واتقي
منه وادفع ظالمي بالرَّاح

(١) اضحى انكشف والاجرد الاملس والضاحي البارز للشمس

وأغضُّ من بصري وأعلم أنه
قد بان حدُّ فوارسي ورماحي
واذا دعتْ قمريةٌ شجناً لها
يوماً على فننٍ دعوتُ صباحي

باب الأدب

قال مسكين الدارمي :

وفتيانِ صدقٍ لستُ مطلعَ بعضهم
على سرّ بعضٍ غير اني جماعها
لكل امريءٍ شعبٌ من القلب فارغٌ
وموضعُ نجوى لا يرام اطلاعها
يظلون شتى في البلاد وسرُّهم
الى صخرةٍ اعيى الرجالَ انصداعها

وقال معن ابن اوس :

لعمركَ ما ادري وإني لأَوجلُ
على اينا تغدو المنية اوّلُ

وانِي اخوكَ الدائم العهد لم اخُنْ
انْ اَبزاكَ خصمٌ او نبابك منزل (١)
أُحارب من حاربتَ من ذي عداوةٍ
واحبسُ مالي انْ غرِمتُ فاعقلُ (٢)
وان سؤتني يوماً صفحتُ الى غدٍ
ليعقبَ يوماً منك آخرُ مقبلُ
كانك تشنيِ منك داءٌ مساءتي
وسخطي وما في ريبتي ما تعجلُ
واني على اشياءَ منك تريبني
قديماً لذو صفحٍ على ذاك مجملُ
ستقطعُ في الدنيا اذا ما قطعتني
يمينك فانظرْ ايَّ كفٍّ تبدّلُ

---

(١) ابزاه بطش به وقهره ونبا تجافى وتباعد (٢) عقل عن فلان غرم عنه جنايته

وفي الناسِ ان رثت حبالك واصلٌ
وفي الارض عن دار القلى متحول (١)

اذا انت لم تنصف اخاك وجدته
على طرف الهجران ان كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السيف من ان تضيمه
اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل (٢)

وكنتُ اذا ما صاحبٌ رام ظنتي
وبدَّل سوءًا بالذي كنتُ افعلُ

قلبتُ له ظهر المجنّ فلم ادُمْ
على ذاك الاَّ ريثما اتحوّل (٣)

اذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكد
اليه بوجهٍ اخرَ الدهر تقبلُ

---

(١) رثت بليت والقلى البغض (٢) مزحل بعد (٣) المجن الترس . وقلب له ظهر المجن اذا تحوّل عن صداقته الى عداوته والريث المقدار

وقال سالم ابن وابصه الاسدى :

أُحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعه
كأَن به عن كلّ فاحشةٍ وَقرا (١)
سليمَ دواعي الصدر لا باسطًا اذًى
ولا مانعًا خيرًا ولا قائلاً هُجرا (٢)
اذا شئتَ ان تدعى كريمًا مكرَّمًا
اديبًا ظريفًا عاقلاً ماجدًا حرًّا
اذا ما اتتْ من صاحبٍ لك زلةٌ
فكنْ انت محتالاً لزلته عذْرا
غنى النفس ما يكفيك من سدّ خلةٍ
فان زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرا (٣)

(١) الوقر الثقل في الاذن (٢) الهجر بالضم اسم من الاهجار وهو الفحش في المنطق (٣) الخلة بالفتح الحاجة والفقر

القسم الثاني

في التمرين على كتاب البيان والتبيين

قال اوحد عصره ابو عثمان عمرُ بن بَحر الجاحظ
اجزل الله له الثواب

اللهمَّ انا نعوذ بك من فتنة القول · كما نعوذ بك من فتنة العمل · ونعوذ بك من التكلف لما لا نُحسن . كما نعوذ بك من العُجب بما نُحسن · ونعوذ بك من السَّلاطة والهذَر(١) كما نعوذ بك من العِيِّ والحصر(٢) · وقديماً ماتعوَّذوا بالله من شرّهما . وتضرَّعوا الى الله في السلامة منهما ·

---

(١) السلاطة بذاءة اللسان وحدّته · والهذر: الافراط في الكلام · (٢) العيّ بالكسر: ضدّ البيان يقال عيي في منطقه كرضي اذا لم يبن . والحصر بفتحتين: العيّ وهو ايضاً ضيق الصدر يقال حصر صدره اي ضاق وهما من باب طرب

وقد قال النمر بن تولب :

أعذني رب من حصرٍ وعيٍّ
ومن نفسٍ أعالجها علاجا ٥

وقد ذكر اللهُ تعالى جميلَ بلائهِ في تعليم البيان وعظيمَ نعمته في تقويم اللسان فقال : الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان · وقال: هذا بيانٌ للناس . ومدح القرآنَ بالبيانِ والإفصاح وبحسنِ التفصيل والايضاح وبجودة الافهام وحكمةِ الإبلاغ وسمّاه فُرقاناً وقال عربيٌّ مبين وقال: وكذلك انزلناه قرآناً عربياً وقال : ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وقال : وكلَّ شيء فصّلناه تفصيلا ٥

وقال تبارك وتعالى: وما ارسلنا من رسولٍ الاَّ بلسان قومه ليبين لهم . لأنَّ مدارَ الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم . وكلما كان اللسان أبين

كان أحمد . كما انه كلما كان القلبُ اشدَّ استبانةً كان أحمد . والمفهِمُ لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل الا أنَّ المفهِمَ افضلُ من المتفهم وكذلك المعلمُ والمتعلم ف

ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام ابو حذَيفةَ « واصلُ ابنُ عطاء وكان الثغَ » اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه فلم يزلْ يكابد ذلك ويغالبه حتى انتظم له ما حاول واتَّسق له ما أمَّل حتى صار لغرابته مثلا واظرافته معلَما ف

قال قُطرُب أَنشدني ضرار بن عمرٍو الشاعر في واصل :

ويجعلُ البرَّ قمحاً في تصرُّفه
وجانَبَ الراءَ حتى احتال للشَّعَرِ

ولم يُطقْ مطرًا والقول يُعجله

فعاذَ بالغيث اِشفاقًا من المطرِ ف

وزعمت الاوائلُ أنَّ الانسان انما قيل له العالَمُ الصغيرُ سليلُ العالَمِ الكبير لأنه يُصوّر بيده كلَّ صورة ويحكي بفمه كلَّ حكاية . ولأنه يأكلُ النباتَ كما تأكل البهائم ويأكلُ الحيوانَ كما تأكل السباع . ولأنَّ فيه من اخلاق جميع اجناس الحيوان أشكالا . وانما تهيأَ وأمكنَ للحاكية حكايةُ جميع مخارج الأُمم لما اعطي الله الانسانَ من الاستطاعة والتمكن . وحين فضّله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلُّف ذلَّت لذلك جوارحه . ومتى ترَكَ شمائلَه ولسانه على سجيّتها كان مقصورًا بعادة المنشإ على الشكل الذى لم يزل فيه . وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور

الحركات والسكون . فأما حروف الكلام فانَّ حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلافُ هذا الحكم ❊

باب البيان

الدلالةُ الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيانُ الذي سمعتَ اللّهَ تعالى يمدحه ويدعو اليه ويحثُّ عليه وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرتِ العربُ وتفاضلت اصنافُ العجم ❊

فمدارُ الامر والغاية التي يجرى اليها القائلُ والسامع انما هو الفهمُ والافهام فبأيّ شيء بلغتَ الافهام وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ❊

وجميعُ اصنافُ الدلالات على المعاني من لفظ وغيرِ لفظ خمسةُ اشياءَ لا تنقص ولا تزيد

اولها اللفظ ثمَّ الاشارة ثم العُقَد ثم الخطّ ثم الحال وتسمى نصبة والنصبة هي الحالة الدَّالة التي تقوم مقامَ تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات

فأمَّا الأشارة فباليد والرأس وغير ذلك ؛ والاشارة واللفظ شريكان ونعم العونُ هي له . ونعم الترجمانُ هي عنهُ ، وما أكثَرَ ما تنوبُ عن اللفظ . وما تغني عن الخطّ

وقال الشاعر في دلالات الإشارة ؛

العينُ تُبدي الذي في نفس صاحبها
من المحبة او بُغضٍ اذا كانا
والعينُ تنطق والأفواهُ صامتةٌ
حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وأمَّا الخطُّ فما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخطّ والإنعامِ بمنافع الكتاب قولهُ لنبيه

صلى الله عليه وسلم : اقرأ وربك الاكرم الذي علَّم بالقلم علَّم الانسانَ ما لم يعلم ٠ . واقسم به في كتابه المنزَل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال نَ والقلم وما يسطُرون ٠ . ولذلك قالوا القلم احدُ اللسانين . كما قالوا قلّةُ العيال أحدُ اليسارين ٠ وقالوا القلمُ أبقى أثرا ، واللسان اكثر هذرا

وقالوا : اللسانُ مقصورٌ على القريب الحاضر والقلمُ مطلقٌ في الشاهد والغائب — وهو للغابر الكائن مثلُه للقائم الراهن ٠

والكتاب يقرأُ بكلّ مكان — ويُدرَسُ في كلّ زمان . واللسانُ لا يعدو سامعه ولا يتجاوزُه الى غيره

وأمّا القولُ في العقد وهو الحسابُ دون اللفظ والخطّ فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قولُ الله عزَّ وجلَّ فالق الاِصباح وجاعل الليلِ سكنا

والشمس والقمرُ حسبانًا ذلك تقديرُ العزيز العليم ف

والحسابُ يشتمل على معانٍ كثيرة ومنافع جليلة. ولولا معرفةُ العبادِ بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عزَّ وجلَّ معنى الحسابِ في الآخرة

وفي عدم اللفظ وفساد الخطّ والجهل بالعقد فسادُ جلّ النعم وفقدان جُمهورِ المنافعِ واختلال كلّ ما جعله الله لنا قواما ومصلحةً ونظاما

واما النصبةُ فهي الحالُ الناطقة بغير اللفظ والمشيرةُ بغير اليد. وذلك ظاهرٌ في خلق السموات والارض وفي كل صامتٍ وناطقٍ وجامدٍ ونامٍ ومقيم وظاعن وزائدٍ وناقص

قال بعض الخطباء: أشهدُ أنَّ السموات والارضَ آياتٌ ودلالاتٌ. وشواهدُ قائمات كلٌّ يؤدّي عنكَ الحُجّةَ ويشهد لك بالرُّبوبية موسومةٌ بآثارِ

قدرتك ومعالم تدبيرك التي تجليت بها لخلقك فاوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهي على اعترافها لك وافتقارها اليك شاهدة بانك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الاوهام . وأنّ حظّ المفكر فيك الاعتراف لك

وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت : الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه امس

ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وان كان صامتا واشار اليه وان كان ساكتا . — وهذا القول شائع في جميع اللغات ومتفق عليه مع افراط الاختلافات ف

قال عليٌّ بنُ ابي طالبٍ كرَّم اللهُ وجهه : قيمةُ كلّ انسانٍ ما يُحسن

فلو لم نقف من هذا الكتاب الاّ على هذه الكلمة لوجدناها كافيةً شافية ومجزِئةً مُغنية — بل لوجدناها فاضلةً على الكفاية وغيرَ مقصّرةٍ عن الغاية

وأحسنُ الكلامِ ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه · فاذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا وكان صاحبهُ صحيحَ الطبع بعيدًا من الاستكراه منزَّهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلُّف صنع في القلوب صنيعَ الغيثِ في التربة الكريمة ف

قال عامرُ بن عبد القيس : الكلمة اذا خرجت من القلب وقعتْ في القلب ـ واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ف

وقال محمدُ بنُ عليّ بن عبد الله بنِ عبَّاس ف :

إني لأكرهُ ان يكونَ مقدار لسان المرء فاضلاً على مقدار علمه . كما اكره ان يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدار عقله

وهذا كلامٌ شريف نافع فاحفظوا لفظَه وتدبروا معناه

ثم اعلموا ان المعنى الحقيرَ الفاسد واللفظَ الدنيَّ الساقط يُعشّشُ في القلبِ ثم يبيضُ ثم يفرّخ .

فعند ذلك يقوى داؤُه ويمتنع دواؤُه . لأنَّ اللفظَ الهجينَ الرديَّ المستكرَهَ أعلقُ باللسان وآلف للسمع من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم . ولو جالستَ الجهالَ والنوكى(١) والسخفاء والحمقى شهراً فقط لم تنقَ من أوضار كلامهم(٢) وخبالِ معانيهم بمجالسة أهلِ البيانِ والعقلِ دهرا . لأن الفسادَ أسرعُ الى الناس وأشدُّ التحاماً بالطبائع

(١) النوكى : الحمقى (٢) الوضر الوسخ وزناً ومعنى

والانسان بالتعلُّم والتكلُّف وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظُه ويحسن ادبه. وهو لا يحتاج في الجهل الى اكثرَ من تركِ التعلُّم. وفي فساد البيان الى اكثرَ من تركَ التخيّر ف

وقال محمدُ بن علي بن عبد الله: كفاك من علم الدين ان تَعلمَ ما لا يسعُ جهلهُ. وكفاك من علم الادبِ ان تَرويَ الشاهدَ والمثل ف

قيلَ للفارسيّ ما البلاغة قال معرفةُ الفصل من الوصل

وقيل لليونانيّ ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام

وقيل للروميّ ما البلاغة قال حسن الاقتضابِ عند البداهة والغزارةُ يومَ الاِطالة

وقيل للهنديّ ما البلاغة قال وضوحُ الدلالة وانتهازُ الفرصة

وقال بعض اهل الهند اجماعُ البلاغةِ البصرُ بالحُجة والمعرفة بمواضعِ الفرصة ـ ثم قال ومن البصر بالحجة أن تضع الاِفصاحَ بها الى الكناية عنها اذا كان الاِفصاحُ أوعرَ طريقة وربما كان الاضطرابُ عنها صفحاً أبلغ فى الدرك وأَحقَّ بالظفر

باب ذكر ناسٍ من البلغاء والخطباء والابيناء[1] والفقهاء والامراء ممن لا يكاد يسكت معَ قلّة الخطاءِ والزلل

منهم زيدُ بن صوحان ومنهم ابو واثلةَ اياس المزنيّ ف

قال قائلٌ لاِياس لِمَ تعجَلُ بالقضاء ـ فقال اياسٌ كم لكفّك من إِصبع ـ قال خمس ـ قال عجلت ـ

(١) الابيناء ج بيّن يقال فلان بيّن اللسان اذا كان فصيحاً

قال لم يعجَل من قال بعدَ ما قتل الشيء علما ويقينا[1]
فقال اياس فهذا هو جوابي لك ❊

وجملةُ القولِ في اياس أَنه من مفاخرِ مُضر ومن مقدَّمي القضاة ـ وكان دقيقَ البدن رقيقَ المسلكِ في الفطن ، وكان صادقَ الحدْسِ نِقابا[2] وعجيبَ الفراسةِ مُلهِماً ـ وكان عفيفَ الطُّعَم كريم المدخلِ والشّيم وجيهاً عند الخلفاء مقدَّماً عند الاكفاء ـ ·
وفي مُزَينةَ خيرٌ كثير ❊

وكان ممن يكثرُ الكلامَ جدّاً الفضل بنُ سهل ثم الحسنُ بن سهل في ايامه ❊

وجملة القول في الترداد أَنه ليس فيه حدٌّ ينتهي اليه ولا يؤتى الى وصفه وانما ذلك على قدْر المستمعين له

---

(١) قتل الشيء خبرا اذا علمه (٢) النقاب بالكسر الرجل العلاّمة

ومن يحضره من العوامّ والخواصّ ف

وقال ثُمامةُ بن أشرس كان جعفر بن يحيى أنطق الناس . قد جمع الهدوءَ والتمهلَ والجزالةَ والحلاوةَ وإفهاماً يغنيه عن الإعادة . ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عن الاشارة كما استغنى عن الإعادة ف

وقال ثمامة قلتُ لجعفر بن يحيى ما البيان . قال ان يكونَ الاسمُ يحيط بمعناك ويجلي عن مَغزاك وتخرجه من الشّركة ولا تستعينَ عليه بالفكرة والذي لا بدّ منه أن يكون سليما من التكلُّف بعيدا من الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل وهذا هو تأويلُ قولِ الاصمعيّ البليغُ من طبَّق المفصِل واغناك عن المفسّر

واخبرني جعفر بن سعيد رضيعُ أيوبَ بنِ جعفر وحاجبُه قال ذكرتُ لعمرو بن مسعدة توقيعاتِ

جعفر بن يحيى قال قد قرأتُ لامّ جعفرٍ توقيعاتٍ في حواشي الكتب واسافلها فوجدتها اجودَ اختصارا واجمع للمعاني ف

وذكر زُهير بن ابي سُلمى الخطلَ فعابَه فقال:

وذي خطلٍ في القولِ يحسب أَنه
مُصيبٌ فما يُلمم به فهو قائله
عَبأتُ له حلماً واكرمتُ غيرَه
واعرضتُ عنه وهو بادٍ مَقاتله

وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرسَ فوصف بها يحيى بنَ جعفر كان ثمامة قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع اهل عصره

قال بعض البلغاء اذا اعطيتَ كلَّ مقامٍ حقه وقمتَ بما يجب من سياسة ذلك المقام وارضيتَ من يعرف حقوقَ الكلام فلا تهتمّ لما فاتك من

رضا الحاسد والعدوّ فانهما لا يرضيهما شيء ـ واما الجاهلُ فاستَ منه وليس منك ورضا جميع الناس شيءٌ لا تناله وقد كان يقال : رضاء الناس شيءٌ لا ينال

وقال بعضهم وهو من احسن ما اجتبيناه ودوّناه : لا يكون الكلامُ يستحقُّ اسمَ البلاغةِ حتى يسابق معناه لفظَه ولفظُه معناه فلا يكون لفظُه الى سمعك اسبقَ من معناه الى قلبك

وقال خالدُ بنُ صفوان: ماالانسانُ لولا اللسانُ الاّ صورةٌ ممثّلةٌ او بهيمةٌ مهملة

باب في ذكر اللسان

قال الحسن : لسانُ العاقلِ من وراء قلبه ـ فاذا اراد الكلامَ تفكر ـ فإن كان له قال وان كان عليه سكت ـ وقلب الجاهل من وراء لسانه فان همّ بالكلام تكلم به ـ له او عليه

قال ابو عثمان : وهم وان كانوا يحبون البيان والصداقة والتحبير والبلاغة والتخلص والرشاقة فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار . لما في ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة في العلو والقدر . وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة لأن ذلك يدعو الى السلاطة والسلاطة تدعو الى البذاءة . وكل مراء في الارض فانما هو من نتاج الفضول . ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشفق من الضراوة (١) وسوء العادة وخاف ثمرة العجب وهجنة القبح وما في حب السمعة من الفتنة وما في الرياء من مجانبة الاخلاص .

(١) الضراوة الاجتراء على الشيء

باب الصمت

كان أعرابيٌّ يجالس الشعبيّ يطيل الصمتَ فسُئل عن طول صمته فقال : أَسمعُ فأعلم واسكتُ فأسلم · وقالوا : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب ء

وانا أُوصيك ان لا تدعْ التماسَ البيان والتبيين اِن ظننتَ أَنَّ لك فيهما طبيعة وأَنهما يناسبانك بعض المناسبة ـ ويشاكلانك بعضَ المشاكلة

ولا تُهملْ طبعك فيستوليَ الاهمالُ على قوَّة القريحة ويستبدُّ بها سوءُ العادة

واِن كنتَ ذا بيان وأَحسنتَ من نفسك بعضَ النفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوَّة المُنَّة يوم الحفل فلا تقصّر فى التماس اعلاها سورة وأَدفعها في البيان منزلة ـ ولا يقطعنَّك تهيُّبُ الجهلاء وتخويفُ الجبناء ـ

ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والأخبار المدخولة ف

فإن أردت ان تتكلف هذه الصناعة وتنسب الى هذا الادب فقرضت قصيدة او حبرت خطبة او ألفت رسالة فاياك ان تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك الى ان تنتحله وتدعيه . ولكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل او اشعار او خطب . فإن رأيت الاسماع تصغي له والعيون تحدج اليه ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله ف

فلا تثق في كلامك برأي نفسك فاني ربما رأيت الرجل متماسكاً وفوق المتماسك حتى اذا صار الى رأيه في شعره وفي كلامه وفي ابنه رأيته متهافتا وفوق المتهافت ف

وكان عبد الحميد وابن المقفع مع بلاغة اقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر الا ما لا يذكر

مثلهُ ٠ وقيل لاَبن المقفع في ذلك فقال : الذي ارضاه لا يجيبني والذي يجيبني لا ارضاه

باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز من ملتقطات كلام النساك

قال بعضُ الناس: من التوقّي ترك الافراط في التوقّي

وقال بعضهم: اذا لم يكن ما تُريد فأَرِدْ ما يكون

وقال الشاعر

قدَرُ اللهِ واردٌ * حين يُقضى ورُودُهُ
فأَرِدْ ما يكون اِن * لم يكن ما تُريدُهُ

وقيل لأَعرابيّ كيف تجدُك قال اجدُ ما لا اشتهي واشتهي ما لا اجد وانا في زمان من جاد لم يجِد ومن وجد لم يجُد

وقال بعضُ النساَّك : انا لما لا ارجو أَرجى مني لما ارجو

باب من الخطب الصغار من خطب السلف

قال الخليلُ: تكثَّرْ من العلمِ لتعرِف وتقلَّلْ منه لتحفَظ

وقال الفضيل: نعمتِ الهديةُ الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يُلقيها الى اخيه

وكان يقال اجعلْ ما في الكتب بيتَ مالٍ وما في قلبك للنفقة

وكان يُقال يكتب الرجلُ احسنَ ما سمع ويحفظُ احسنَ ما كتب

وقال أعرابيٌّ: حرفٌ فى قلبك خيرٌ من عشرة في طُومارك[1]

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما قُرِن شيٌ بشيءٍ افضلَ من علمٍ الى حلم ومن عفوٍ الي قدرة

ومدارُ العلمِ على الشاهد والمثل.

---

(١) الطومار الصحيفة

وانما حثوا على الصمت لأنَّ العامـةَ الى معرفة خطاِ القولِ اسرع منهم الى معرفة خطاِ الصمت ·

ومعنى الصامت فى صمته اخفى من معنى القائل في قوله . والا فالسكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل ف

واذا تركَ الانسانُ القولَ ماتت خواطرُه وتبلَّدت نفسه وفسد حسُّه

وكانوا يروُّون صبيانهم الأرجاز ويعلّمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب لأنَّ ذلك يفتقُ اللَّهاةَ ويفتح الجِرْم (١)

واللسانُ اذا اكثرتَ تحريكه رقَّ ولان واذا أقللتَ تقليبه واطلتَ اسكانه جسأ وغلظ (٢)

---

(١) فتق الشيء فصل بعضه عن بعض واللهاة اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى الفم وجمعها لهى ولهيات مثل حصاة وحصى وحصيات واللهوة بالضم العطية والجمع لها ومنه قولهم اللُّها تفتح اللَّهى (٢) جسأ كجعل صلب

وقالوا: علّم علمك وتعلّم علم غيرك فاذا أنتَ قد علمت ما جهلتَ وحفظتَ ما علّمت

وقال الخليل بن احمد: اجعلْ تعلمَك دراسةً لعلمك واجعلْ مناظرةَ المتعلمِ تنبيهاً لك على ما ليس عندك

وقال بعضهم واظنه بكرَ بن عبد الله المُزَنيّ لاتكدُّوا هذه القلوبَ ولا تُهملوها ـ فخيرُ الكلام ما كان عقبَ الجَمام[1] ومن اكره بصرَه عشي. وعاودوا الفكرَ عند نبواتِ القلوب واُشحذوها[2] بالمذاكرة ولا تيأسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فانّ من ادام قرعَ الباب وَلج

---

(١) الكدُّ الارتعاب وبابه ردّ . والجمام بالفتح الراحة

(٢) شحذ الحديدة احدّها

المنتقى من الثلث الثاني

ثم اعلمْ بعد ذلك أنَّ جميع خُطبِ العرب من اهل المَدَر والوَبَر والبدوِ والحضر على ضربين . منها الطوال . ومنها القصار . ولكلٍّ من ذلك مكانٌ يليق به وموضعٌ يَحسنُ فيه ·

ومن الطوال ما يكون مستويًا في الجودة ومشاكلاً في استواء الصنعة . ومنها ذواتُ الفِقَر الحسان والنتفِ الجياد · . وليس فيها بعد ذلك شيءٌ يستحقُّ الحفظ — وانما حظُّها التخليدُ في بطون الصحف . ووجدنا اكثر رواة العلم الى حفظ القصار اسرع · وقد أعطينا كلَّ شكلٍ من ذلك قسطَه من الاختيار ووفَّينا حقَّه من التمييز ونرجو ان لا نكون قصرنا في ذلك والله الموفق .

هذا سوى ما رسمناه في كتابنا هذا من مقطّعاتِ كلامِ العرب الفصحاء وجمل كلام الأعرابِ الخُلَّص وأهلِ اللسَنِ من رجالاتِ قريش وأهل الخطابة

من أهل الحجاز ونُتَفٍ من كلام النساك ومواعظ من كلام الزُّهاد مع قلة كلامهم وشدة توقّيهم . وربَّ قليل يغنى عن الكثير كما أنَّ رب كثير لا يتعلق به صاحبُ القليل بل ربَّ كلمة تُغني عن خطبة وتنوب عن رسالة . بل ربَّ كناية تُربي على افصاح ولحظٍ يدلُّ على ضمير وان كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية على النهاية ف

ومتى شاكل ابقاك الله ذلك اللفظُ معناه . واعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقاً ولذلك القدر لِفْقاً[1] وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلُّف كان قميناً[2] بحسن الموقع وبانتفاعِ المستمع واجدرَ أَن يمنع جانبه من تناوُل الطاعنين ويحميَ عرضه من

(١) اللفق وزان حمل اسم الشقة ولفقت الثوب لفقاً من باب ضرب ضممت احدى الشقتين الى الأُخرى

(٢) قميناً جديراً

عتراض العيابين ــ ولا تزالُ القلوبُ به معمورة
الصدور ما هولة

ومتى كان اللفظ ايضاً كريماً في نفسه ، متخيَّراً في
جنسه ، وكان سليماً من الفضول ، بريئاً من التعقيد ،
حبّب الى النفوس ، واتصل بالاذهان ، والتحم بالعقول
هشَّت اليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ
لى السنِ الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في
لناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضةً
لتعلم الريّض ف

ومن أعاره الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه
ن محبته ذنوباً[1] حنَّت اليه المعاني وسَلِس[2] له نظام
لفظ وكان قد اغنى المستمع من كدّ التكلُّف واراح

(١) الذنوب بفتح الذال الدلو العظيمة ويطلق على الحظ النصيب وهو المراد هنا (٢) سلس سهل

قارئَ الكتاب من علاج التفهم. ولم اجد في خطبِ السلف الطّيب والأعراب الأقحاح[١] الفاظاً مسخوطة ولا معانيَ مدخولة ولا طبعاً رديئاً ولا قولاً مستكرَهاً واكثرُ ما نجد ذلك في خطب المولَّدين البلديين المكلفين ومن اهل الصنعة المتأدبين سواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب او كان من نتاج التخير والتفكر ف

ومدارُ الأمر والغايةُ التي يجري اليها الفهمُ ثم الافهام والطلب ثم التثبُّت ف

ولا يمكن تمامُ الفهم الاَّ مع فراغ البال وقال مجنون بني عامر :

اتاني هواها قبلَ أن اعرفَ الهوى
فصادف قلباً فارغاً فتمكَّنا

(١) الاقحاح جمع قح وهو المحضُ الخالص

وكتب مالكُ بنُ اسماءَ بنِ خارجةَ الى اخيه عُيينة:

أعُيَينُ هلاَّ اذ شُغفتَ بها
كنتَ استعنتَ بفارغِ العقلِ
اقبلتَ ترجو الغوثَ من قِبَلي
والمستغاثُ به في شُغلِ

وقال صالح المرّي

سوء الاستماع نِفاق - وقد لا يفهم المستمعُ الاَّ بالتفهم وقد يتفهم ايضاً من لا يفهم. وقال الحارث بن حلزة:

وحبستُ فيها الركب احدُسُ في
كلّ الأُمور وكنت ذا حدْسِ

وقال النابغة الجعدي

ابى لي البلاء وأني أمرؤٌ ☆ اذا ما تبيَّنتُ لم ارتبِ

وقال آخر

تحلَّم عن الأدنين واستبقِ ودَّهم
ولن تستطيعَ الحلمَ حتى تحلَّما

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم : العلم بالتعلم ف

وقال عتبة بن ابي سفيان لعبد الصمد مؤدّب ولده :

ليكون اوّلَ ماتبدأَ به بَنيَّ اصلاحُ نفسك فانَّ اعينهم معقودةٌ بعينك فالحسنُ عندهم ما استحسنتَ والقبيح عندهم ما استقبحتَ علّمهم كتابَ الله ولا تكرههم عليه فيملّوه ولا تتركهم منه فيهجروه . ثم روّهم من الشعر اعفّه ومن الحديث اشرفَه ولا تُخرجهم من علم الى غيره حتى يُحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مَضلّة للفهم وتهدّدهم بي وأدّبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنّبهم محادثة النساء وروّهم سيرَ الحكماء واستزدني بزيادتك اياَّهم أَزدك . واياك أَن تتَّكل على عذر مني لك فقد اتَّكلتُ على كفايةٍ منك وزد في تأديبهم أزدْك في برّي ان شاء الله تعالى

قال محمد بن حرب الهلالي : كتب ابراهيم بن ابى يحيى الأسلمي الى المهدي يعزيه على ابنته : اما بعد فانا احقَّ مَن عرف حقَّ الله عليه فيما اخذ منه مَن عظُم حقُّ الله عليه فيما ابقى له ـــ واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك وان الباقي بعدك هو المأجور فيك وان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه . وقال سهل بن هارون : التهنئة على آجل الثواب اولى من التعزية على عاجل المصيبة

وقال صالح بن عبد القدوس

ان يكن ما به أُصبتَ جليلا

فذَهاب العزاء فيه اجلُّ

كل آت لا شك آت وذو الجه

ل معنى والهمُّ والحزنُ فضلُ

وقال لقمان لابنه : يا بُنيَّ اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤدِّ حقاً واذا ضجرت لم تصبر على

حق. قال: وكان يقال اربعٌ لا ينبغي لأحد ان يأنف منهنَّ وان كان شريفًا او اميرًا: قيامُه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وقيامُه على فرسه وخدمته للعالم

وقالَ بعض الحكماء: اذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم

وكتب آخر: اما بعد فقد كنتَ لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا ترضَ الا بالكلّ منا لك

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال: اللسان اداةٌ يظهر بها حسن البيان، وظاهرٌ يخبرُ عن الضمير وشاهدٌ ينبئك عن غائب، وحاكمٌ يُفصل بهِ الخطاب، وناطقٌ يُردُّ به الجواب، وشافعٌ تُدرك به الحاجة، وواصف تعرف الحقائق، ومعزّ ينفى به الحزْن، ومؤنس تذهب به الوحشة، وواعظ ينهي عن القبيح ومزَين يدعو الى الحسن، وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل الضغينة، وملهمٌ يونق الاسماع

وقال بعض الاوائل : انما الناس احاديث فان استطعت ان تكون احسنهم حديثاً فافعل

انما يمتنع البالغ من المعارف من قبَل امور تعرض من الحوادث وامور في اصل تركيب الغريزة . فاذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك الموانع ووفر عليهم الذكاء وجاب اليهم جياد الخواطر وصرف اوهامهم الى التعرف وحبب اليهم التبيُّن وقعت المعرفة وتمت النعمة

والموانع قد تكون من قبل الاخلاط الاربعة على قدر القلة والكثرة والكثافة والرقة

ومن ذلك ما يكون من جهة سوء العادة واهمال النفس . فعندها يستوحش من الفكر ويستثقل النظر . ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة والقوى المتقسمة . ومن ذلك ما يكون من خرق المعلم وقلة رفق المؤدّب وسوء صبر المثقف

فاذا صفَّى الله ذهنه ونقحه وهذَّبه وثقفه وفرَّغ
باله وكفاه انتظار الخواطر وكان هو المفيدَ له والقائمَ
عليه والمريد لهدايته لم يلبث ان يعلم ف

وقال سهلُ بن هرون يوماً وهو عند المأمون :
من اصناف العلم مالا ينبغي للمسلمين انْ يرغبوا فيه
وقد يُرغَب عن بعضْ العلم كما يُرغَب عن بعض الحلال .
قال المأمون قد يسمي بعضُ الناس الشيءَ علماً وليس
بعلم فان كان هذا اردتَ فوجهه الذي ذكرنا ـ ولو
قلتَ ان العلمَ لا يُدرَكُ غوره ولا يُسبرُ قعره ولا تبلغُ
غايته ولا تستقصى اصنافه ولا يُضبط آخرهُ فالامر
على ما قلت" . فاذا كان الامر كذلك فابدؤا بالاهمّ
فالاهمّ وابدؤا بالفرض قبلَ النفل فاذا فعلتم ذلك كان
عدلاً وقولاً صادقا

وقال بعض العلماء : اقصد من اصناف العلم الى
ما هو اشهي الى نفسك واخفُّ على قلبك ـ فانَّ

نفاذك فيه على حسب شهوتك وسهولته عليك

وقال بعض العلماء : لستُ اطلبُ العلم طمعاً في بلوغ غايته والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله ولا يحسنُ بالعاقل اغفاله

هذا آخر ما انتقي من كتاب البيان والتبيين لتمرين من يروم ان يسلك في الادب اوضح محجة ويكون له فيه اقوى حجة وبالله التوفيق

ترجمة الجاحظ

هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور

صاحب التصانيف في كل فن . له مقالة في اصول الدين واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ ابي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وتصانيفه كثيرة جداً من احسنها

وامتعها كتاب الحيوان فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين وكان مع فضائله مشوَّه الخلق وانما قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ عِظَم المقلة ونتوُّها وكان يقال له ايضاً الحدَقي لذلك

قال ابو القاسم السيرافي : حضرنا مجلس الاستاذ ابي الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وازرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكتّ ايها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على امثاله - فقال لم اجد في مقابلته ابلغ من تركه على جهله - ولو واقفته وبينت له النظر في كتبه وصار بذلك انسانا - يا ابا القاسم - كتبُ الجاحظ تعلّم العقل اولاً والادب ثانياً ولم استصلحه لذلك . ومن شعر الجاحظ :

لئن قدّمت قبلي رجالٌ فطالما
مشيت على رسلي فكنت المقدّما

ولكنَّ هذا الدهرَ تأْتي صروفه
فتُبرِمُ منقوضاً وتنقضُ مبرَمـا

وكانت وفاة الجاحظ في شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله تعالى . انتهى ملخصاً من وفيـات الاعيان لابن خلكان .

وذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين اجتماعه بالمأْمون وثناءه على كتبه في الامامة مع مخالفته له في الرأْي فقال : ولما قرأَ المأْمون كتبي في الامامة فوجدها على ما أَمر به وصرت اليه وقد كان امر اليزيديّ بالنظر فيها ليخبره عنها قال لي قد كان بعض من نرتضي عقله ونصدق خبره خبّرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلنا قد تُربي الصفة على العيان فلما رأَيتها رأَيت العيان قد اربى على الصفة فلما فليتها أَربى الفلي على العيان كما أَربى العيان على الصفة وهـذا كتاب

لا يحتاج الى حضور صاحبه ولا يفتقر الى المحتجين عنه قد جمع استقصاءَ المعانى واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل فهو سوقيٌّ ملوكيٌّ وعاميٌّ خاص ٠ﻫ وناهيك بمن يقول في حقه المامون وهو ما هو مثل هذا الكلام

﴿ نبذة تتعلق بالجاحظ وحسن بيانه ﴾

قال الامام الجرجاني في فاتحة كتاب اسرار البلاغة اثناء حثه على ترك السجع اذا لم يات على سجية الطبع :

وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبَه فرطُ شغفه بامور ترجع الى ماله اسمٌ في البديع الى ان ينسي انه يتكلم ليُفهم ، ويقول ليُبين ، ويخيل اليه انه اذا جمع بين اقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء ، وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده كمن ثقّل العروس باصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها . فان اردت ان تعرف مثالاً فيما ذكرت لك من ان العارفين بجواهر الكلام لا

يعرجون على هـذا الفن الابعد الثقة بسلامة المعنى وصحته والاً حيث يأمنون جناية منه عليه ، وانتقاصاً له وتعويفاً دونه ، فانظر الى خطب الجاحظ في اوائل كتبه . هذا — والخطب من شأنها ان يعتمد فيها الاوزان والاسجاع فانها تروى وتتناقل تناقل الاشعار ومحلها محل النسيب والتشبيب من الشعر الذي هو كأنه لا يراد منه الا الاحتفال في الصنعة والدلالة على مقدار شوط القريحة والاخبار عن فضل القوة والاقتدار على التفنن في الصفة . قال فى اول كتاب الحيوان :

« جنَّبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك و بين المعرفة سبباً ، وبين الصدق نسباً ، وحبب اليك التثبت ، وزين في عينك الانصاف ، واذاقك حلاوة التقوى واشعر قلبك عزَّ الحق ، واودع صدرك برد اليقين ، وطرد عنك ذلَّ اليأس ، وعرفك ما في الباطل من الذلة ، وما في الجهل من القلة »

فقد ترك اولاً ان يوفق بين الشبهة والحيرة في الاعراب ، ولم يرَ ان يقرن الخلاف الى الانصاف ، ويشفع الحق بالصدق ، ولم يعنَ بان يطلب لليأس قرينة تصل جناحه ، وشيئاً يكون رديفاً له ، لانه رأى التوفيق بين المعاني حق ، والموازنة فيها احسن ، ورأى العناية بها حتى تكون اخوة من اب وام ، ويذرها على ذلك تتفق بالوداد ، على حسب اتفاقها بالميلاد ، اولى من ان يدعها لنصرة السجع ، وطلب الوزن ، اولاد علّة عسى ان لا يوجد بينها وفاق الا في الظواهر ، فاما ان يتعدى ذلك الى الضمائر ، ويخلص الى العقائد والسرائر ، ففي الاقل النادر

وكان الفراغ من تاليف هذا الكتاب يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان المعظم سنة ١٣٢١ وذلك في مدينة بيروت